
التربية على المواطنة وحقوق الانسان

ربيع قيس

محام، أستاذ جامعي، منسق البرامج في المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم

ما هي المواطنة؟

تتميّز المواطنة عن مسائل أخرى كالجنسية (nationalité) والوطنية (patriotisme)، وهي بالتالي مسألة سلوكية تعني كل انسان يعيش في مجتمع مُنظم. المواطن citoyen / citizen، خلافاً للتابع أو الرعايا sujet، يحمل جزءاً من السلطة. المواطن تالياً، من خلال انتخابات حرة ونزيهة، هو مصدر السلطة. بهذا المعنى ترد في الدستور عبارة: "الشعب مصدر السلطات". ويمكن ايجاز المواطنة بثلاثة عبارات: **انا معني، أنا مشارك، أنا مسؤول.**

١. انا معني: اطلاع على قضايا الشأن العام، التزام، مبادرة فردية وجماعية...
٢. انا مشارك: مساهمة في الاعباء العامة (ضرائب ورسوم) على المستويين الوطني والمحلي (وهذا تنشأ علاقة تعاقدية مبنية على حقوق وواجبات)، روابط وجمعيات طوعية واحزاب ونقابات، حرية هذه التنظيمات، استقلاليتها عن الجهاز الحكومي، تفاعل من خلال مختلف وسائل التواصل، وتعبير عن الرأي...
٣. انا مسؤول: مطالبة ومراقبة ومحاسبة حرصاً على المصلحة العامة...

مقولة المواطنة وتعارضها المطلق مع الانتماء الى طوائف أو جماعات ثقافية هي ايدولوجية الطابع وغير استنتاجية، اذ تعني هذه المقولة عمليًا استحالة السلوك المواطني بالنسبة لما يقل عن نصف سكان العالم اليوم الذين يعيشون تعددية دينية وعرقية وأتنية وثقافية. الحاجة الى تبسيط مفهوم الثقافة المدنية بما يؤدي بنفس الوقت الى **تعميق المفهوم** وتأصيله. تتناقض التربية المدنية - بصفتها تربية - مع الدوغماتية والأدلجة (من ايدولوجيا) والشعارات التي لا تلتصق بتجربة الناس وحاجاتهم. انها تربية على الممارسة المواطنة.

عبارة **مدنية** مترادفة مع **مواطنة** في الاشتقاق في اللغات الأجنبية (cité, citoyenneté, civique). يغني التفسير اللغوي تحديد المواطنة ويعطيها معناها العملي في الممارسة، بعيداً عن تلوث المفهوم. بحسب لسان العرب، الوطن هو المنزل ومكان الإقامة، سواء وُلد الإنسان فيه أو لا. المواطن من واطنه، أي عايشه وشاركه في الوطن. وزن فاعل يُفيد المشاركة. هكذا تكون المواطنة بمعناها اللغوي الأصلي **مشاركة في العيش معاً**، وتالياً في مسؤوليات هذا العيش. يعطي اشتقاق المواطنة من المواطنة **معنى اجتماعياً للوطن يتجاوز الأرض والتعلق بها** وحسب. يقول الرئيس حسين الحسيني: "الوطن ليس مجرد أرض بل علاقات في ما بيننا".

المعنى الأصلي للمواطنة باللغة العربية يُعيدنا الى أصل المفهوم في الأدبيات المقارنة. عبارة مواطنة (citoyenneté) مُشتقة من مدينة (cité). **المدينة بناء حقوقي للمكان ومشاركة حقوقية**. المواطنون (citoyens)، خلافاً للتابعين (sujet)، تربطهم علاقات تعاقدية قائمة على حقوق وواجبات، حيث الحكام يتولون ادارة المصلحة العامة والمواطنون يُشاركون في الشأن العام ويحاسبون ويراقبون. في المواطنة سياسة وهذه قمة وجود الإنسان، لأنها المشاركة في الشأن العام.

ما هي مكونات المواطنة / composantes / components؟

تتطلب ترجمة المواطنة الى برامج وأعمال ثقافية وتربوية تحدد مكوناتها. التحديد الأولي للوطن في اللغة العربية كمكان للإقامة، فيه كثير من الغنى وهو يسمح بتحديد ثلاثة مكونات للتربية المواطنة: **علاقة بالمكان، وعلاقة بالأشخاص القاطنين**

في هذا المكان مع كل ما في ذلك من بعد زمني، وعلاقة بالسلطة التي ترعى المكان وتدير الشأن العام. هذه المكونات تتفرّع الى أجزاء.

٣

ما هي أولويات التربية المواطنة في مجتمع متعدد الأديان والمذاهب وفي لبنان بشكل خاص؟

أبرز الأولويات، استنادًا الى خبرات مقارنة والى دراسات ميدانية لبنانية في علم الاجتماع التربوي وعلم النفس السياسي وعلم النفس التاريخي، واستنادًا الى خبرات سنوات الحروب في لبنان في ١٩٧٥-١٩٩٠ ، هي ستة:

أ. ثقافة الاستقلالية **culture d'autonomie**: يؤدي سلوك التبعية والاستسلام الى الانجراف في الاستقطاب الطائفي pillarization في المجتمعات المتعددة البنية والى الانجراف في التعبئة النزاعية.

ب. ثقافة القاعدة الحقوقية **culture de légalité**: يواجه مفهوم القانون عوائق في المجتمع اللبناني.

ج. ثقافة المجال العام الجامع والمشارك **espace public transcommunautaire**: لا يوفر استمرار الغوص في "الطائفية" / **communautaire confessionnel** أي نتيجة عمليًا في سبيل السلوك المواطني. تقضي المنهجية الاستنتاجية والتربوية البحث والتربية حول المعرفة المتبادلة، وخاصة للجيل الجديد، دون منمطات وصور مشوهة، وأيضًا التركيز على الشؤون العابرة للطوائف **transcommunautaire** مع تحديد مؤشرات ومكوناتها.

د. المواطنة البراغماتية **citoyenneté pragmatique**: الايديولوجيات وسجال الهويات هي غالبًا نزاعية في حين ان المصالح اليومية المشروعة هي عنصر جامع، وخاصة في لبنان الذي يُشكّل وحدة اقتصادية صلبة لم تتمكن المتاريس والمعايير من انقسامها. الحاجة ان تنتقل صلابة النسيج الاجتماعي الحيّ الى المجال العام.

هـ. الذاكرة الجماعية المشتركة *Mémoire collective et partagée*:

يُستخلص من برامج "التاريخ" التي وضعتها اللجنة التأسيسية خمسة مبادئ، مع شرط التقيّد الدائم بالطابع العلمي لعلم التاريخ وتاليًا دون توجيه أو "أدلجة":

- أ. تعليم تاريخ كل لبنان في جغرافيته الحالية المذكورة في الدستور اللبناني.
- ب. التركيز على تاريخ الحريات وحقوق الانسان حيث ان التاريخ هو في جوهره جدلية تفاعل بين السلطة والمجتمع.
- ج. وصف النزاعات في أسبابها ومن منطلق محاسبي في حساب الكلفة والمنافع. الحاجة تاليًا الى مؤرخين محاسبين *historiens comptables*.
- د. شمولية تاريخ لبنان لتاريخ اللبنانيين في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.
- هـ. بناء ذاكرة جماعية رادعة من خلال الخبرات في الموثيق التي هي نمط في البناء القومي في علم التاريخ المقارن والعلم الدستوري المقارن. تُرسخ ثقافة الموثيق *culture des pactes* الحذر *prudence* في العلاقات الداخلية -الخارجية.

٤

ما هو موقع الأديان في التربية الوطنية؟

الحاجة الى تأصيل البحث، استنادًا الى دراسات تطبيقية مقارنة تجاه ظواهر تقاوم استغلال الدين في النزاعات وتحول أديان الى ايديولوجيات. الحاجة الى التمييز بين ثلاثة مستويات:

مستوى الإيمان: مسألة ايمانية.

مستوى الدين في المجال العام: مسألة حقوقية.

مستوى استغلال الدين في التنافس السياسي : مسألة سياسية.

يُستنتج من ذلك ضرورة التمييز بين التربية الدينية وجوهرها حرية الضمير والتساؤل الايماني واستكشاف معنى الحياة...، والتعليم الديني الذي هو تحديدًا نقل الشائير والمعتقدات لدين محدّد.

٥

ما هي المصلحة العامة؟

تم التمييز بين ثلاثة مكونات في مفهوم المصلحة العامة:

- الملكية العامة التي هي محددة في قوانين.
- المال العام الذي هو ثمرة واردات الضرائب والرسوم ومساهمات الافراد والجماعات، وكذلك الرأسمال المتراكم عبر الاجيال.

- القضايا المشتركة التي هي مجال نقاش عام في سبيل بلورة سياسات عامة.

ان المصلحة العامة ليست مصلحة اكثرية، ولا مصلحة اقلية، ولا مصلحة الجميع. انها المصلحة التي تحافظ على وحدة واستقرار وازدهار المجتمع الذي تنتمي اليه وتحقق الاهداف التي يصبو اليها المواطنون. كل عمل للمصلحة العامة فيه درجة من التضحية بمصالح آنية لافراد وجماعات، والمصلحة العامة نفسها تقضي بان تنعكس هذه التضحية ايجابًا على المجتمع، والارجح على جميع افراده اذا وفرت الوحدة والاستقرار والازدهار.

ما هي تاليًا تطبيقات الشأن العام في المجال التربوي من خلال مندوبي الصف؟ اعطي مثال على ذلك: "اذا وفر المعلم للتلامذة درسًا بكفاءة عالية واستوعب التلامذة الدرس ونجحوا في التقييم، ولكن لدى خروجهم من الصف فالطاولات مبعثرة والكراسي في غير مكانها وارض الصف وسخة... فماذا تعلموا؟"

٦

ما العمل في المجال التربوي؟

مكونات التربية على الشأن العام في المجال الدراسي حسب التصنيف التالي:

اولاً- المجال العام الجغرافي المشترك في المدرسة

١. الطاولات والكراسي والتجهيزات والاثاث عامة.
٢. النظافة العامة.
٣. ترتيب المكان وتنظيمه.
٤. السلامة العامة في كل ارجاء المدرسة.

٥. الصيانة.

٦. التراث المدرسي والذاكرة وحفظهما وإبرازهما.

٧. ترشيد استعمال القرطاسية والضرورات اليومية.

ثانياً- النظام العام: القواعد الناظمة في سبيل:

العيش معاً.

المعالجة السلمية للنزاعات.

نوعية حياة افضل.

٨. ممارسة السلطة حسب قواعد وليس حسب علاقات نفوذ.

٩. قواعد للنجاح والترفيه والرسوب.

١٠. الاعتماد على مرجعية حقوقية، معروفة ومعلنة، في التقرير ومعالجة الخلافات.

١١. الاصغاء في الصف للمصالح العام.

ثالثاً- بنية العلاقات التربوية

١٢. تعاون وتنافس في اطار قواعد.

١٣. برامج مشتركة استناداً الى مسؤولية الادارة وبرامج اخرى تكون ثمرة مشورة بين المعلمين وبين التلامذة.

١٤. مدى مساعدة التلامذة لبعضهم ومساعدة حالات الظلم.

١٥. دعم الادارة الرشيدة من قبل المعلمين والتلامذة.

١٦. البيئة النفسية في المدرسة: عدالة ومساواة وعدم تمييز وجو من الثقة وتحفيز القدرات.

١٧. قيم الصلة الاجتماعية من خلال طبيعة العلاقات.

١٨. قيم الصلة الاجتماعية من خلال مضمون التعليم، بخاصة تعليم تاريخ لبنان.